نشأت على ارض جزيرة سقطرى حضارة عظيمة تقع في مصاف حضارات العالم القديم

قيل ان السحر نبع من ارضها لانها موطن الطائر (الخرافي) العنقاء الذي حمل السندباد بمخالبه وطاف به في العديد من اقطار العالم

سقطرى جزيرة الاسرار

لسنا نبالغ إذا قلنا أن جزيرة سقطرى حتى هذه اللحظة مازال الحديث التاريخي عنها تكتنفه الضبابية والغموض والأسرار. صحيح أن وسائلنا الإعلامية المختلفة ومنها المرئية، صورت الجزيرة في أفلام تسجيلية عديدة ، ولكن تلك الأفلام الوثائقية أنصبت كلها في الحديث عن جمال الجزيرة الأخاذ ومناظرها الطبيعية الخلابة ولكن الجانب التاريخي منها يكاد يكون مفقوداً ، وإن وجد فإنه يكون متناثراً أو سطحياً ولا يلامس تاريخها الأصيل الضارب

محمد زكريا

غائبة عن ابحاثهم

والحقيقة أن الباحثين الحاليين والمؤرخين المحدثين حتى هذه اللحظة لم يصدروا مؤلفات عن تاريخ سقطرى أو بمعنى آخر أن جزيرة سقطرى غائبة عن إبداعاتهم المختلفة الوجوه سواء كانت تاريخية أو اجتماعية ، أو ثقافية (عادات وتقاليد وأعراف أهل سقطرى) . ومرة أخرى نقول أن سقطرى الجزيرة المشهورة والتي يعرفها الداني القريب والقاص البعيد لم يصدر عنها كتاب واحد يشفي غليل القراء لمعرفة وجوه حياتها المتنوعة ــ كما ذكرنا سابقا ــ من ناحية ويعد مرجع من مراجع تاريخها من ناحية أخرى يستند عليه الباحثين والمهتمين في البحث عن تاريخها.

أسئلة وإجابات ؟

ولقد وقع في يدي كتيبا صغيرا يحمل عنوان ((لمحات من تاريخ جزيرة سقطرى)) لصاحبه المؤرخ الكبير محمد عبد القادر بامطرف . والحقيقة أن مؤلفه بذل جهودا طيبة بهدف تعريفنا بتاريخ الجزيرة على سبيل المثال من أول من سكنها أو بالاحرى من سكانها الأصليين ؟ . وهل كانت سقطرى معروفة في العهود القديمة أو بمعنى أدق هل كانت هناك علاقة بينها وبين الحضارات القديمة ــ وقتئذ ــ كالحضارة الفرعونية ، وحضارة بلاد الرافدين ، والحضارة اليونانية ، ؟. وما هي الديانات القديمة التي دخلت الجزيرة ؟ . ويثير الأستاذ المؤرخ محمد عبد القادر قضية غاية في الأهمية وهي أن المسيحية دخلت سقطرى وانتشرت بين سكانها انتشارا كبيرا وواسعا . وعلى الرغم من تلك القضية المثيرة المتمثلة بانتشار المسيحية بين سكان سقطرى إلا أن المؤلف لم يعطينا صورة واضحة عن كيف ومتى دخلت الديانة المسيحية فيها ؟.

قضايا مثيرة

ويتناول المؤلف قضايا مثيرة أخرى وهي على سبيل المثال أن سقطرى تعد جزيرة السحر والسحرة في الأزمنة القديمة ويسوق الأمثلة على ذلك على لسان الروايات الشفوية الذي تحدث عنها أهلها . ويتطرق ــ أيضا ــ إلى الغزاة البرتغاليين في سقطرى ، وكيف سقطت في قبضتهم ؟و يتحدث ــ أيضا ــ عن العلاقة بين الجزيرة وبريطانية وكيف ألقت الأوضاع السياسية الدولية ظلها على تلك العلاقة بين مد وجزر .

الأرض الطيبة

والحقيقة أنه على الرغم من أن المؤلف بذل الكثير من الجهود القيمة في محاولة منه في الكشف عن تاريخها الحضاري، وكذلك عاداتها وتقاليدها وأعرافها ، وحياتها الاقتصادية التي شكلت جزء هام من نسيج تاريخها القديم إلا أن المؤلف في الكثير من الجوانب التاريخية للجزيرة لم يعطينا صورة أو صور واضحة عن ملامحها المتنوعة. ويبدو أن ذلك يعود إلى ندرة المراجع الذي لم تتحدث عن تلك الجزيرة والذي سماها القدامى المصريين بالأرض الطيبة ، والهنود القدامى بأرض السعادة.

أسماء قديمة

لقد سميت الجزيرة في التاريخ القديم بعدد من الأسماء. وربما كان مناسبا أن نورد ما ذكره محمد عبد القادر في هذا الشأن ، فيقول : " وقد وصف قدماء المصريين جزيرة سقطرى بأرض بنت (بفتح الباء وسكون النون والتاء) أو أرض بأأنش ي أرض الله الطيبة . ووصفها الهنود القدامى فقالوا إنها أرض الهناء والسعادة. أما اليونانيون فقد حرفوا أسمها ، كما هي عادتهم في تحريف أسماء المواقع العربية التي زاروها أو سمعوا بها ، فجاءت مذكورة في سجلاتهم باس ديوسكوريدس وهي تحريف لكلمة (سقطرى) وهو الاسم الذي أطلقه على الجزيرة الناس الذين كونوا أول مستوطنة بشرية بها" . ويتساءل محمد عبد القادر حول معنى سقطرى ، فيقول : " ولسنا ندري ما هو اشتقاق هذا الاسم (سقطرى) ".

حضارة سادت ثم وبادت

والحقيقة نستخلص من كلام المؤرخ محمد عبد القادر ، أن جزيرة سقطرى كانت مشهورة ومعروفة لدى الفراعنة المصريين والهنود القدامى ، واليونانيين القدامى أو بالاحرى أن جزيرة سقطرى كانت في الزمن القديم لها علا قات تجارية قوية بينها وبين الحضارات المدنية القديمة . وكان من البديهي أن يكون لجزيرة سقطرى نظام مدني راقي في مختلف نواح الحياة على غرار الحضارات القديمة التي طفت على سطح الحياة وقتئذ . وأكبر الظن أن العلاقات التجارية بينها وبين تلك الحضارات العريقة والراقية أثرت تأثيرا كبيرا في حياة سقطرى فاستقت من تلك الحضارات الكثير من نظمها السياسية ، و الاجتماعية ، والثقافية وبمعنى أدق أنه كانت هناك حضارة مزدهرة قامت على أرض جزيرة سقطرى على نفس مستوى ودرجة الحضارة الفرعونية القديمة التي قامت على ضفاف وادي النيل. ولقد بلغت شهرتها العالم القديم ــ حينذاك ــ . وهذا ما أكده محمد عبد القادر بقوله : " والشيء المؤكد أن جزيرة سقطرى لم تكن مجهولة لا في العهود القديمة ولا في العهود الوسيطة ... أنه كان لسقطرى حضور مرموق في العالم القديم وفي العالم الوسيط تدل على ذلك الأساطير التي ألصقها بالجزيرة الهنود واليونان والمصريون القدامى ، والتجار الذين كانوا يأتون إليها للتبادل التجاري بين الهند وأقطار حوض البحر المتوسط منذ القرن الثلاثين قبل الميلاد ".

الحلقة المفقودة

ويطرح المؤرخ عبد القادر عددا من الأسئلة أو الاستفسارات حول الحلقة أو الحلقات المفقودة في تاريخ سقطرى وعلى وجه الخصوص تاريخها الموغل في القدم ، فيقول : " إن تفاصيل تاريخ آلاف السنين الغابرة عن سقطرى وأهلها قد ضاعت من على وجه البسيطة وليس هناك أمل في العثور عليها" . ويضيف قائلا : " بيد أن الحفريات الآثارية التي قد تجيء إلى سقطرى في المستقبل ربما جعلت من المستطاع ، بدرجة معقولة ، معرفة العصور التي مرت على أهل الجزيرة ومدى ما حققوا من حضارة لأنفسهم في الماضي البعيد".

سكانها الأصليون؟

وتحت ذلك السؤال الهام ، حاول المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف أن يميط اللثام عنه ، ولكنه ــ على حد تعبيره ــ لم يستطيع أن يصل إلى إجابة مرضية وواضحة إليه بسبب اكتنافه للغموض والاضطراب ، ولكنه افرد أقوال عددا من الذين زاروا جزيرة سقطرى على أمل أن يعثر هو والقراء على الإجابة الشافية حول ذلك السؤال الغز. وربما كان مناسبا أن نورد ما قاله حول من هم سكان سقطرى الأصليين أو الأوائل ؟. فيقول : " لا يعرف على وجه التحقيق من كان سكان جزيرة سقطرى الأصليون (الأصليين) ، كما لا يعرف ما إذا كان العرب هم الذين كونوا أول مستوطنة بشرية في هذه الجزيرة " . ويمضي في حديثه قائلا : " لكننا نقرأ كتاب الرحالة الأثاري (الأثري) البريطاني ثيودور بنت الذي زار الجزيرة عام ١٨٩٨م أنه وجد نقشا سبئيا على صخرة بالقرب من بلدة قلنسية ، وأن العديد من علامات التملك التي يسمي بها أرباب الإبل في سقطرى قريبة الشبه بحروف المسند التي تلقاها اليمنيون خلفا عن سلف ،إلا أنه لم يذكر إلى أي عهد من عهود الممالك اليمنية القديمة ينتمي النقش الذي عثر عليه " . ويستنتج المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف ، قائلا : " وبما أنه من الثابت أن اللغة السقطرية قريبة الشبه من حيث المفردات والتراكيب اللغوية باللغة المهرية ، وبلغات قبائل القرا ، والشحارة التي تسكن إقليم ظفار المجاور للإقليمين المهري والحضرمي هما المنطقتان الجنوبيتان من بلاد العرب المقابلتان لجزيرة سقطرى ... فإنه يحمل على الظن القوي أن سكان جزيرة سقطرى الأصليين جاءوا من هذه الأقاليم اليمنية ".

والحقيقة لدينا هنا بعض الملاحظات عما أورده محمد عبد القادر حول سكان سقطرة الأصليين وهي كالآتي :

أولا : أنه يقول في بداية حديثه بالنص : " ... كما لا يعرف ما إذا كان العرب هم الذين كونوا أول مستوطنة بشرية في هذه الجزيرة ". ونتوقف عند كلمة (العرب) هل يقصد الأستاذ محمد عبد القادر بكلمة العرب باليمنيين القدامى أم يقصد العرب من أبناء جزيرة العرب القريبة من جزيرة سقطرى ثانيا : أنه استعمل كلمة (الأقاليم اليمنية) ، وكان من الأجدر أن يستعمل عبارة (الممالك اليمنية) وبذلك يضع تلك التسمية في إطارها التاريخي الدقيق الذي كانت عليها في عهد حكم اليمنيين القدامى ، و" من المعروف أن المنهج العلمي يفرض على من يتعرض لكتابة التاريخ أن يلتزم بالمسميات التاريخية التي تفرض نفسها في فترات معينة "(١) .

ويطرح المؤرخ عبد القادر بامطرف الدلائل التي ربما تساعده على معرفة أو الوصول إلى سكان سقطرى الأصليين ، فيقوم بعمل مقارنة بين سكان سقطرى وسكان ظفار ليثبت ويؤكد أن هناك تشابه كبير في العوامل الجغرافية بين سقطرى وظفار من ناحية والعادات والتقاليد من ناحية أخرى . وربما كان مناسبا أن نورد ما قاله في ذلك الموضوع ، حيث كتب يقول : " وهناك سبب آخر يؤيد ذلك الظن القوي وهو أن إقليم ظفار الذي يشابه جزيرة سقطرى بجباله الطويلة ذوات الفنن مخروطية الأشكال ، ينتج اللبان والمر ويقطنه بادية يسكنون المغاور ويرعو المواشي و الأغنام ويقتاتون بالمر واللبن والسمن واللحم والسمك، مثلهم في ذلك مثل السقاطرة سكان السواحل والجبال ، ويلبسون لباسا شبيها بما يلبسه البدو السقاطرة ، ويحيون بعضهم بعضا بنفس الطريقة المعقدة من الملامسة بأرنبات الانوف واحتكاك صفحات الخدود". ويمضي في حديثه ، قائلا : " تلك الصلات العرقية واللغوية الجزيرة ــ والذي سماهم (العرب) ــ بقوله : " وأن العرب يعملون رعاة مواشي وجنود وحرفيين وكهنة معابد " ويضيف عبد القادر بامطرف ، بقوله : " ويحتمل أنه كان بين أولئك السكان عدد من التجار لأن الكثير من اللبان السقطري كان يصدر إلى الخارج على يد هؤلاء ".

أول وصف مكتوب

من الكتب النادرة والقليلة التي وصفت جزيرة سقطرى في الزمن البعيد هو كتاب ((الطواف حول البحر الأرتيري)) الذي كتبه مؤلف يوناني اسكندراني مجهول في القرن الأول الميلادي ، فيقول فيه : " أن أهالي الجزيرة قليلوا العدد ويسكنون على الساحل الشمالي للجزيرة ، وأن بينهم خليطا من الهنود واليونان والعرب الذين يرتادون الجزيرة لغرض التجارة " . ويعلق المؤرخ عبد القادر بامطرف ما كتبه ذلك المؤلف اليوناني المجهول الإسم ، فيقول : " ويذكر المؤلف أن سكان الجزيرة الأصليين قوم متجانسون يقطنون المعاقل الجبلية المنعزلة عن سكان السواحل السقطرية يرعون مواشيهم في الجبال ولم يشاهدهم اليونان أو الرومان أو الهنود الوافدون على جزيرتهم ".

سقطرى والأسطورة

لسنا نبالغ إذا إن غياب المعرفة التاريخية عن جزيرة سقطرى جعلت الأساطير أو الأسطورة تحوم حولها بكثافة . وكان من الطبيعي أن تحل الأسطورة محلها وبعبارة أخرى أن الأسطورة تفسر قضايا مجهولة لا يستطيع أن يفسرها التاريخ بسبب أنه لم يولد بعد . والحقيقة إن الأسطورة ليست ضربا من ضروب العبث أو ضربا في الهواء ففي جوهرها تكمن المعرفة التاريخية ، فالمعرفة التاريخية نشأت من ضلع الأسطورة وهذا ما دفع الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم ،أن يفسرمعنى الأسطورة : " وإذا كان البعض يصف الأسطورة بأنها ((العلم البدائي)) ، فإنه نبغي علينا أن نؤكد من جديد أن المعرفة التاريخية قد نشأت من ضلع الأسطورة . إذ أن أحداث القصص الأسطورية تدور حول أصول الأشياء وهو ما يعني أن بذرة التاريخ التي زرعت في تربة الأسطورة قد أخذت تنمو تدريجيا وبشكل مطرد مع تزايد تحرر الكتابة التاريخية من الخيال والرمز الذي كان سمة أساسية في ((الكتابة التاريخية الأولى)) (٢). ونستخلص من ذلك أن الأسطورة ولدت في الجزيرة كتعويض للمعرفة التاريخية الغير معروفة وخصوصا في الأزمنة الغابرة من حياة الجزيرة .

سقطرى وطائر العنقاء

ولقد حامت حول الجزيرة الأساطير الكثيفة منها على سبيل المثال ، أنها كانت موطن الطائر الخرافي وهو العنقاء الذي حمل بين مخالبه السندباد وطاف به العديد من بلدان العالم . " وذكرو أن طائر (العنقاء) يبني عشه في سقطرى من عيدان القرفة ويفرشه بالهيل والقرنفل والزعفران، وقيل إن نوحا ــ عليه السلام ــ خاطب أبنه أن يركب معه في فلك النجاة، ولكن الابن أبى قائلا أنه سوف يعتصم من اطوفان بإحدى قمم جبال سقطرى . وذكرت الروايات الأسطورية أن الجزيرة حكمتها فتاة بارعة الجمال وكان حراسها من الثعابين الكبار أجسادهم مرصعة بالذهب والأحجار الكريمة . وقيل أن (عرائس البحر) في الزمن القديم الموغل في القدم كانت تظهربكثرة وبصورة شبه دائمة على شواطئ الجزيرة ، لتستريح من عناء السباحة والغوص في مياه البحر . وقيل أن في الجزيرة في الأزمنة السحيقة كانت توجد فيها أنهارا كبيرة تعيش فيها التماسيح الهائلة الأجسام والسلاحف الضخمة والأفاعي ذات الأجراس المرعبة . ويقال أن الأسكندر الأكبر المقدوني ، قد جاء إلى الجزيرة وبحث عن شجرة الصبر أو صبر سقطرى لأن أحد الحكماء الأغريق نصحه وأوصاه بالحصول عليها بس

بب فائدته الجمة لصحة الإنسان.

البرتغاليون في سقطرى

ويفيض المؤرخ عبد القادر بامطرف في الحديث عن الغزو البرتغالي لجزيرة سقطرى . ولقد ذكر أن الغزو حدث في سنة (٩١٢ هـ/ ١٥٠٧م) . ولقد حاولنا الحصول على معلومات ذلك الغزو البرتغالي على الجزيرة من كتاب (روح الروح) لصاحبه عيسى بن لطف الله شرف الدين المتوفى سنة (١٠٤٨ هـ / ١٦٣٨ م) في أحداث سنة ٩١٢هـ ــ وأيضا ــ من كتاب ((اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية)) لمؤلفه محمد بن إسماعيل الكبسي المتوفى سنة (١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م) في أحداث سنة ٩١٢ هـ ــ وكذلك ــ المؤرخ ابن الديبع المتوفى سنة (٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م) ولكن مع الأسف ــ العميق ــ لم نعثر عن أحداث الغزو البرتغالي لسقطرى في كتاباتهم حيث كنا نود أن نتعرف على وجهة نظر بعض المؤرخين اليمنيين القدامى من ذلك الغزو البرتغالي ، ولكن المؤرخ عبد القادر بامطرف أستقى معلوماته عن وقائع الغزو البرتغالي على الجزيرة من مذكرات القائد الفونسو دي البوكيرك والتي ترجمت إلى الإنجليزية .

وفي الحقيقة ، أن مذكرات قائد الحملة البرتغالية البوكيرك على سقطرى تعد من المراجع الهامة والأساسية وإن لم يكن أهمها على الإطلاق في تسجيل ذلك الغزو على الجزيرة وتعطينا ــ أيضا ــ وجهة نظر برتغالية من الحملة وذلك من الايجابيات وأما بخصوص السلبيات فهي ــ كما قلنا سابقا ــ تعطينا رؤية برتغالية واحدة ضيقة عن ذلك الغزو ، ومن البديهي أن تلك الرؤية ستكون منحازة لأصحابها ، ولذلك حاولنا أن نعثر على مؤلفات غير برتغالية تصور لنا روية مغايرة ، ولكن ــ كما مر بنا سابقا ــ لم نعثر عليها في المؤلفات اليمنية القديمة .

وكيفما كان الأمر ، فإن قائد الحملة البرتغالية البوكيرك على الجزيرة يدون في مذكراته أن أهالي سقطرى قاوموا الحملة على الرغم من تفوقه عليهم بالأسلحة النارية الفتاكة ، وأخيرا تمكنت الحملة من بسط نفوذها على أهم المناطق في الجزيرة . ولكن يسجل في مذكراته عن خيبة الأمل التي أصابته عندما عاد مرة أخرى إلى جزيرة سقطرى ، فقد وجد جنوده الذين تركهم في الجزيرة في حالة يرثى لها ، فقد أصابتهم الملاريا، وسقط الكثير منهم في شباك الموت ،مما أضطر أن ينسحب من الجزيرة والحسرة والحزن يأكلان قلبه . وقيل أن البوكيرك قائد الحملة البرتغالية لم يتحمل تلك الخسارة ، وبعد شهور قليلة أصيب بالحمى ومات .

سقطرى والإنجليز

والحقيقة أن العلاقات الإنجليزية مع جزيرة سقطرى ، كانت في حالة تذبذب أي بين شد وجذب وذلك على حسب الظروف الدولية في المنطقة وتحديدا في البحر العربي والبحر الأحمر . فعندما كانت العلاقات الدولية متوترة في البحر الأحمر من جراء الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م عملت إنجلترا على الاهتمام بالجزيرة ومراقبة ورصد كل التحركات الفرنسية العسكرية قد تعمل على احتلال الجزيرة ، ولكن الاتصال الحقيقي و الفعلي بين الإنجليز وجزيرة سقطرى كان في سنة ١٨٣٣م حيث أبرم في هذا العام اتفاقية بين الحكومة الإنجليزية والسلطان (أحمد) على أساسها إنزال وتخزين الفحم الحجري في الجزيرة من قبل الحكومة الإنجليزية ، ولكن تلك الاتفاقية لم تخرج إلى حيز الوجود ، ويبدو أن الإنجليز وجدوا أن الظروف الدولية لا تشكل خطرا على سواحل وموانئ اليمن من قبل الفرنسيين الذين انسحبوا من مصر سنة ١٨٠٣م من ناحية وجدوا أن الجزيرة غير صالح للبقاء فيها نظرا لانتشار الملاريا فيها وقتئذ من ناحية أخرى .

وكيفما كان الأمر ، فإن جزيرة سقطرى مازالت في حاجة ماسة وملحة من قبل الهيئات العلمية المتمثلة بالجامعات اليمنية ومراكز البحوث العلمية لدراستها دراسة مستفيضة وعميقة من مختلف الوجوه ومنها الوجه التاريخي . فسقطرى تلك الجزيرة على الرغم أنها تتردد على ألسنة الإعلام المختلفة بصورة شبة دائمة فإن الجانب التاريخي منها ــ كما مر بنا سابقا ــ مازال يتلفع بالغموض والألغاز والضبابية . ولكنني أكاد أجزم بأن الجهات العلمية والمتمثلة بالجامعات ومراكز البحوث والدراسات اليمنية ستعمل في المنظور القريب على إصدار الأبحاث التاريخية للجزيرة من ناحية وتسليط الأضواء الكاشفة والقوية على عادات وتقاليد وأعراف أهل الجزيرة الضاربة في أعماق فجر التاريخ الإنساني من ناحية أخرى . فإن معرفة تراث وتاريخ الجزيرة سيرسم ــ دون مبالغة ــ حاضرها بصورة واضحة وجلية ومشرقة و معرفة الحاضر سيمنحنا قدرة على رسم ملامح مستقبل مشرق ومتألق لجزيرة سقطرى .

الهوامش :

محمد عبد القادر بامطرف ؛ لمحات من تاريخ جزيرة سقطرى ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، دار حضرموت ، حضرموت ــ الجمهورية اليمنية .

(١) جون بلدري ؛ ترجمة وتقديم : دكتور سيد مصطفى سالم ، العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن ، المطبعة الفنية بالقاهرة .

(٢) دكتور قاسم عبده قاسم ؛ بين التاريخ والفولكلور ، الطبعة الثانية ٢٠٠١م ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ـ جمهورية مصر العربية .

منبر التراث

المؤرخ الرسمي

في جامعة أسيوط

محمد زكريا

المؤرخ الرسمي تحت ذلك الشعار عقدت ــ مؤرخا ــ ندوة في كلية الآداب بجامعة أسيوط . ولقد حضرها لفيف من الأساتذة والدكاترة والمؤرخين المتخصصين في مختلف نواحي الفترات التاريخية صورة عامة . وكان من بين الحاضرين مؤرخون فرنسيون وإسبان تخصصوا في دراسة التاريخ الإسلامي في الأندلس .

المؤرخون والشعراء

والحقيقة أن تلك الندوة العلمية التاريخية أتسمت بالصراحة والجرأة في تناول الكثير من القضايا التي عبرت الحدود الحمراء . فالبعض من الأساتذة والدكاترة من جامعة أسيوط ، والقاهرة ، وعين شمس ، والإسكندرية في ميدان التاريخ شبهوا المؤرخين الرسميين بالشعراء المداحين الذين كانوا يمدحوا ذلك الملك أو السلطان أو الحاكم مقابل (الأحمر والأبيض) أي الذهب والفضة . وكان هؤلاء الشعراء يمدحون الحكام بالشجاعة والكرم والحنكة السياسية وكل تلك الصفات ليست فيهم وذلك بهدف الوصول إلى عطاياهم ، مما دفع بكثير من الملوك والسلاطين إلى أن يكونوا مستبدين على شعوبهم المقهورة ، وهم يظنون أنهم يحسنون أعمالا قيمة وجيدة ، وأن نظامهم المستبد والمطلق راض عنه الداني القريب والقاص البعيد في مملكته أوإمارته . فكأن هؤلاء الشعراء المداحون وبالا على الشعوب لكونهم كانوا يزيفون الحقيقة ، ويقلبون الأمور رأسا على عقب .

يزيفون الحقائق

وعلى هذا النسق ، كان المؤرخ أو المؤرخون الرسميون يؤلفون روايات تاريخية للحكام تصورهم بصور باهرة ومشرقة ، وأنهم حكموا شعوبهم بالعدل والإحسان ، والرحمة أو بعبارة أخرى أن العدل والرخاء كانا يسيران في الأرض . والحقيقة أنهم كانوا جبابرة وطغاة ومتعطشين للدماء.

وهذا هولاكو المغولي الذي أرجعت كتب التاريخ أنه كان رجلا بلا قلب ،و إن شئت فقل كان شخصية مريضة تبهجها أن ترى الدماء تسيل أمامها ، وتلك بغداد التي شهدت على يديه الدمار والخراب والحريق ، ولقد ذكرت المؤلفات التاريخية أن قرابة ثمانين ألف نفس زهقت عندما دخل التتار أو المغول بغداد تحت قيادته . ولكن نجد مؤرخيه الرسميين يصفون بالمآثر الجليلة و الصفات الحميدة بأنه كان حاكما عادلا ، ورحيما ، وشجاعا ، وكان يمقت الظلم .

وبالا على التاريخ

ولقد ذكر عدد من الأساتذة والدكاترة في تلك الندوة الخطيرة والمثيرة في نفس الوقت والتي حملت عنوان أو شعار ((المؤرخ الرسمي)) ــ كما قلنا سابقا ــ أن المؤرخ الرسمي كان وبالا على تاريخ الشعوب المقهورة مثله مثل الحاكم المستبد القمعي الذي زين للحكام أعمالهم القبيحة بأنها أعمال جليلة ورائعة .ويقول البعض من هؤلاء الأساتذة الدكاترة ،أن هؤلاء المؤرخين الرسميين شوهوا الحقائق التاريخية ، وقلبوا الأمور ، والطامة الكبرى أن مؤلفاتهم مازالت تملأ رفوف المكتبات .

من توصيات الندوة

وكيفما كان الأمر ، فإن الندوة التاريخية خرجت بعدد من التوصيات ، وأهمها هو أعادة النظر في مؤلفات المؤرخين الرسميين والعمل على تحقيقها تحقيقا قوامه منهج البحث التاريخي حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود وبذلك نقدم لشعوبنا التاريخ الحقيقي الخالي من التزييف ، فالتاريخ هو الميزان الذي على أساسه يقاس تأريخ السلاطين والأمراء والحكام الذين حكموا شعوبهم في فترة من فترات التاريخ .